ورقة عمل بعنوان

رؤية في واقع الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في المجتمع المصري

أ.د/ محمد محمود مصطفى حميد

المعهد العالي للخدمة الإجتماعية بالقاهرة

مقدمة :

قد يبدو غريباً إثارة هذا الموضوع الان ، فقد بدأت الخدمة الاجتماعية ممارستها في المجتمع المصري في القرن العشرين ونحن الان على أعتاب الربع الاول من القرن الواحد والعشرين فماذا حدث حتى يثار هذا الموضوع الان ؟

إن الغرابة ستزول إذا عرفنا أن التجربة المصرية للممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية تفكر في الانسحاب بعدما انشغلت بالبحث عن وجودها وعن التدليل على بقائها وهويتها. والسؤال ماذا بعد الخدمة الاجتماعية اذا تم الانسحاب ورحيل علمائها وممارسيها ؟ ماذا سيكون مصير هذه المهنة ؟ وما هو بديلها ؟وهل بديل الخدمة الاجتماعية نهايتها اوتحولها ؟

اننى لا اقصد إثارة الجدل بعرض هذا الموضوع ، كما لا اريد أن نظل في برج عاجي منعزل عن الناس ، انما اريد أن يفضي كلامي هذا الى حوار فلسفي خلاق يساهم في انقاذ الخدمة الاجتماعية من عثرتها وتحريرها من قيودها ، وان يبدأ الحوار من الاجابة على عدة أسئلة :

من من ولدت الخدمة الاجتماعية في تجربتها المصرية ؟

هل عدم وجود منبت مصري للخدمة الاجتماعية أدى الى وصاية الغير عليها ؟

والى متى ستظل هذه الوصاية ؟ وكيف نواجه وصايا الغير على مهنتنا ؟

وهل تستطيع الخدمة الاجتماعية الاستقلال بعيداً عن هذه الوصايا ؟

أراه حوار فلسفي ينتهى الى تذكير علماء الخدمة الاجتماعية وممارسيها في المجتمع المصري لمهنتهم الأصلية ولهويتها المجتمعية ، وأن يؤسس المنظرين للخدمة الاجتماعية رؤيتهم بعيداً عن الرؤية المتحكمة في عقول الاخرين المؤدى للمهنة والمتلقي لها. رؤية تحدث تأثيراً في المجتمع وفى عقول الاخرين .

قد تتباين هذه الرؤية بما تشمله من آراء ولكنها في النهاية يجب أن تكون رؤية شمولية لا تنحرف عن كينونة الخدمة الاجتماعية ولا تبعدها عن هويتها.

رؤية تنقل الى رجل الشارع من حيث هو محصور في رؤية ضيقة للخدمة الاجتماعية لتحرره من هذه الرؤية وتعالج مشكلة اغترابها المجتمعي، رؤية تضع استراتيجية للممارسة المستقبلية للخدمة الاجتماعية تحرر ممارسيها من ما يعانون منه من الأعياء المهني أو أن شئت من الاغتراب المهني .

آري أنه من غير الانشغال بهذه المهمة الان ستظل مهنتنا تبحث عن هويتها ومكانتها بين مهن المجتمع الاخرى وسيظل ممارسي المهنة يعانون من مشاكل عدم الرضا الوظيفي، أتمنى أن تكون رؤيتى متشائمة وتقديراتي خاطئة ، مع إصراري على أن ممارسة الخدمة الاجتماعية في مجتمعنا المصري لم تحدث آثارها وواقعها لم يتغير ، وهذا لن يتم الا اذا قبلنا التحدي وامتلكنا ارادتنا بقدراتنا وغيرنا سياساتنا وواجهنا قضايا مهنتنا وهى قضايا تمثل تحديات لاستمرار المهنة أو انسحابها وتحولها بعد الانحسار الواضح لوظيفتها ورسالتها المجتمعية .

قضايا مهنية تحتاج الى حل :

أرى انه من المناسب القاء الضوء على بعض الموضوعات التي تمثل قضايا للمهنة اجتهدت الورقة القاء الضوء على بعضها ولكنها تحتاج الى دراسة أعمق استناداً إلى واقع إمبريقي ملموس. وهى قضايا لها آثارها السلبية على الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية وعلى هويتها المجتمعية وتحتاج الى المواجهة والحل .

تقليدية الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية :

وهو موضوع يتعلق بفائدة الخدمة الاجتماعية كمهنة مجتمع ومدى قدرتها على الاستجابة السريعة لما يتعرض له المجتمع المصري من ضغوط وتحولات ايديولوجية ترتب عليها مشكلات واحتياجات متجددة، ابرزت عدم مناسبة الممارسة التقليدية للمهنة وتقوقعها حول معنى واحد (وهو المعنى المرتبط بأنشطة الاحسان والمساعدات المادية او انشطة الترويح والضبط الاجتماعي للفئات الفقيرة) وهو المعنى الذى بدأت به المهنة ممارستها عند دخولها المجتمع المصري برؤية احادية الجانب ذو اتجاه واحد (استيراد الافكار من الخارج واللجوء لنماذج ممارسة لا تراعى ظروف وثقافة العملاء) .

ولذلك فعلى المهنة ان تتجه نحو الاتجاه الصحيح (التحول من المفهوم التقليدي للممارسة الى المفهوم العلمي الحديث) ، إعادة تشكيل الممارسة المهنية ورسالتها المجتمعية بحسب

ظروف وواقع المجتمع ، ممارسة متغيره بتغير هذه الظروف وبتغيير واقع المجتمع ومشكلاته. ممارسة تهدف إلى تعزيز الوجود الإنساني والتعامل مع قضايا الإصلاح الاجتماعي وتحسين نوعية الحياة التي يعيشها المواطن المصري.

وإلا الاستمرار في ممارسة المهنة برؤية احادية الجانب ذو الاتجاه الواحد وهى أمور من شأنها ان تؤدى الى انكماش المهنة وعدم قدرتها على تحقيق رسالتها المجتمعية .

برامج تعليم الخدمة الاجتماعية :

وهو تحدي جديد يواجه ممارسة الخدمة الاجتماعية تحدي مرتبط بمدي قدرة المهنة علي ان تكون جزءاً من نسيج المجتمع المصري وافراز حقيقي له.

وحتي تمتلك المهنة هذه القدرة وتصبح جزءاً من نسيج هذا المجتمع فانه ينبغي أن تساهم برامج تعليم الخدمة الاجتماعية في تجديد المهنة ، ومساعدة العاملين بها علي الفهم الكامل لما يحدث داخل المجتمع ومصادر التوتر والآثار المترتبة علي هذا التوتر، مع تزويدهم بالكفاءة التى تمكنهم من التدخل لضبط هذا التوتر واخضاع نتائجه وأثاره للتوافق والملائمة مع الظواهر المجتمعية .

وهي عملية شاقة ومعقدة وتحتاج الي برامج تعليمية متجددة برامج تمكنهم من التعامل الايجابي مع ظواهر التغير الاجتماعي والتعامل مع مؤسسات المجتمع المحدثة للتغيير . برامج تمكنهم من مواجهة مواقف تتضمن عناصر لم يسبق لهم التعامل معها أثناء دراستهم العلمية والعملية أو خلال خبراتهم السابقة .

برامج تمنح المهنة قدرتها علي الاستقلال بعيدا عن وصايا الغرب علي المهنة وتمنح ممارسيها مشاعر الانتماء المهني وتأكيد الهوية المهنية للخدمة الاجتماعية.

برامج تزيد من المستويات المهنية المطلوبة للعاملين بالخدمة الاجتماعية. برامج تصمم للعمل في مؤسسات المجتمع لزيادة قدرة الناس علي تحقيق الأداء الاجتماعي وإطلاق طاقاتهم وتحقيق أفضل استثمار ممكن لهم. مع الوضع في الاعتبار ان هذه البرامج لا ينبغي ان تكون متقوقعة حول ذاتها او مفتقدة الصلة بغيرها من برامج تعليم الخدمة الاجتماعية في الدول الأخرى وعلي المستوي العالمي او ان تتقوقع حول مفاهيم ومناهج وكتابات شكلتها أحداث الماضي، بل برامج تتجاوب مع ظروف العصر الحديث وفلسفة المهنة وقيمها ، برامج تتجاوب مع واقع المجتمع الجديد لتمنح البصيرة لممارسى المهنة وتجاوبا مع واقع المجتمع الجديد ومع تحقيق فكرة

الاصلاح الاجتماعي وترسيخ نظام اجتماعي يقوم علي المشاركة الواعية للمواطنين مشاركة تمكنهم من توجيه أمور حياتهم وتنمية مجتمعهم وتلبية احتياجات الفئات المحرومة اجتماعياً.

خصخصة خدمات الرعاية الاجتماعية في مصر:

وهو موضوع يرتبط بحياة الانسان المصري وتدهور احواله المعيشية وعجزه عن تغييرها وازداد الامر تعقيداً باتجاه الدولة الى الاسراع بعملية التنمية بفكر اقتصادي ترتب عليه سلسلة من التغيرات الاجتماعية السريعة الايقاع وكان من الضروري ظهور برامج وخدمات الرعاية الاجتماعية وهذا الامر يمثل تحدى جديد للخدمة الاجتماعية ، هذا التحدي ارتبط بانسحاب الدولة من التزاماتها ازاء مواطنيها بالتحول من الادارة الحكومية للبرامج والمشروعات الاجتماعية الى القطاع الخاص (عجز الدولة على الانفاق على خطط وبرامج الرعاية الاجتماعية) مع ظهور منظمات للرعاية الاجتماعية الخاصة)، واصبح على المهنة ايجاد اساليب جديدة لخلق نظم للمشاركة في تحمل تبعات تقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين ، واتجاه الرعاية الاجتماعية لمنح خدماتها للقادرين على دفع مقابل الخدمة وهو موضوع وثيق الصلة بحياة المواطن المصري وخصوصاً الفقراء منهم. والسؤال المطروح هل تستطيع الخدمة الاجتماعية القيام برسالاتها في ظل هذه التحولات الايدولوجية السريعة والشديدة القسوة في مجتمع يعانى اغلب مواطنيه من التدهور المستمر في احواله المعيشية وعجز الانتاج عن النمو بالسرعة التي يتطلبها زيادة المتطلبات الشعبية المشروعة وتبنى حقوق الفئات المهمشة في المجتمع المصري. ام أن عليها ان تنسحب ويبقى السؤال الهام الذى بدأت به الورقة وماذا بعد الانسحاب ؟ وما هو بديل الخدمة الاجتماعية هل هو نهايتها أم تحولها؟!!!

خاتمة:

حاولت هذه الورقة الاجتهاد لبلورة رؤية خاصة حول موضوع يمثل أهمية أساسية للخدمة الاجتماعية في مجتمعنا المصري. واجتهد كاتبها في القاء الضوء على بعض القضايا المتعلقة بممارستها، وهى قضايا تحتاج الى دراسة اعمق استنادا لواقع إمبريقي ملموس تجنباً لأى لبس وتوقياً من الوقوع في أي تناقض.٠